# المشرق

## جبيل وبلاد جبيل

بقلم ابرهيم بك ابي سمرا غانم حاكم صلح جبيل

### توطئة

مضى علي وجودي في جبيل خمس سنوات ونيف فامتزجتُ مع اهاليها امتزاج الراح بالماء فتفاهمنا وتحابَبْنا فلم يحصل بيننا ما يعكر صفاء المودَّة رغماً عن المثل القائل: «ان نصف الناس اعداء لمن وُلّي الاحكام». هذا ان عدل. ولا شكَّ ان قرّاء المشرق الذين اكتب لهم هذا المقال يرون في ذلك ما أرى وهو ان الجبيليين قومٌ فُطروا على كرم الاخلاق والمروّة وحبّ السكينة والسلامة، الامر الذي يُسطّر لهم في تاريخ الادب وللكياسة اجلّ صفحة

لست بحاجة الى كتابة تاريخ جبيل القديم بعد ان ألقى مُدير المشرق في هذه المدينة قبل سنتين محاضرتهُ التاريخية فمن رغب الى مطالعتها فانّي أُحيلهُ الى مجلة المشرق (٢٢ [١٩٢٤]: ٣٢١ــ٣٣٥) وفيها يقف على ما تهفُ معرفتهُ من تاريخها الماضي ومن اخبار الدول التي بسطت سيطرتها عليها منذ عهد الكلدان الاولين ثمّ الكنعانيين والفراعنة المصريين الى عصرنا الحاضر ومن الحضارة التي بلغتها في ماضي الزمن حتى نالت من الرقي والعمران الشأو الاعلى. وحسبنا القول ان مدينة بيروت عاصمة دولة لبنان قد انشأتها مستعمرة جبيليَّة. والحفريات التي قام بها علماء الآثار الافرنسيون منذ احتلّت الدولة المنتدبة هذه الاصقاع والتي لا يزالون يواصلونها حتى الآن فذهبت بين سَمع الارض وبصرها قد اعادت الى الاذهان ذكرى جبيل (بيبلوس) واماجت في محبي الأسفار التَّوق الى زيارتها والتمتُّع برؤياها. ولهذا اصبحت جبيل محطّ رحال العلماء والعظماء حتى الملوك

النفوس . وقد فازت هذه المدينة منذ سنتين برؤية جلالة شاه العجم السابق يوم عرّج على بيروت في سفره الى باريز

## موقع جبيل ووصفها

انَّ جُبَيْلًا وهي تصغير جبل ذات موقع طبيعي رائع الجمال فانها تنبسط فوق رابية عالية تعلو عن سطح البحر نيفاً وثلاثين متراً فسيحة الارجاء تمتدُّ من جسر الدجاج شمالًا الى نهر الفيدار جنوباً جيدة المناخ نقية الهواء سائغة المياه . وقد اقتُ في مدن ساحلية كثيرة من شواطئ سورية كصيدا وبيروت وجونية والبترون فوجدت جبيل اصلحها للسكن صيفاً . وقسمُها الغربي مطوّق في وسطه بسور عالٍ لهُ مدخل واحد في جهته الشرقية وهو المحلّ المعروف بالبوّابة تحرسهُ قلعتها الشهيرة ذات الطوابق المتعددة . ويقول علماء الآثار انها من صُنع الصليبيين وقد بنوها بحجارة الهياكل التي كان شادها الملوك الفينيقيون او المصريون في ذلك المكان . والسور على ما يبدو لا يطوّق المدينة بكاملها وانما يطوّق المحلَّ الذي كان يلجأ اليه السكان او على الاقل المحاربون حينما كانت توضع جبيل تحت الحصار . والحفريّات التي تقوم بها البعثة الافرنسية في جبيل هي غربيَّ القلعة وجنوبيَّها . وهنالك ظهرت المدافن وانقاض الهياكل وقد وصف المشرق في جزئه الاخير الكنوز التي وُجدت فيها

## اهل جبيل ومعاصرهم الدينيّ

يسكن جبيلًا في هذه الايام الموارنة ويبلغ عددهم نحو اثنين وخمسماية بين مهاجر ومقيم والقليل من المسلمين ويبلغون المائتين عدًّا . وكان يقطنها من بضع سنوات بعض العيال من طائفتي الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ثم نزحوا منها الى بيروت وغيرها . وللارثوذكس كنيسة لم تزل قائمة بالقرب من الميناء . واما الروم الكاثوليك فقد باعوا كنيستهم من احد الموارنة وكان مجاورًا لكنيسة القديس يوحنا المارونية . ولم يزل مطران الروم الكاثوليك في بيروت يُلقَّب بمطران بيروت وجبيل وتوابعهما . وللمسلمين جامع بين القلعة وكنيسة القديس يوحنا وله إمام يقوم بواجبات الصلاة في اوقاتها

وللموارنة كنائس عديدة اهمها واعظمها كنيسة القديس يوحنا المعمدان وهي كنيسة تاريخيَّة قديمة شادها الصليبيُّون يوم كانت سيطرتهم على جبيل . ولمَّا تغلَّب المسلمون على هذه المدينة وطردوا الفرنجة من البلاد وضعوا يدهم على الكنيسة . وبسبب الاهمال تهدَّم قسم منها واصبحت زريبة للبهائم الى ان تولَّى سعد الخوري مبارك الشهير رأس عائلة آل سعد المتحدِّر منها حبيب باشا السعد تدبيرَ الامير يوسف شهاب امير لبنان فصرف همَّهُ مع صدق الخدمة لمولاهُ ولوطنه في المحافظة على مصلحة طائفته المارونية وإعلاء شأنها فكان لها نعم النصير . وقد استعطف الاميرَ فوهب الرهبان البلديين المارونيين هذه الكنيسة فرمَّموها وبنوا بقربها انطوشاً اقاموا فيه لخدمة النفوس . ولا يزال الجُبَيليون يذكرون لسعد الخوري هذه المأثرة . وكأن الله اراد مكافأةً لهذا الرجل النابغة الصالح ان يجعل وفاتهُ في جبيل ليُدفن في هذه الكنيسة التي هي اثر من آثاره الطيبة ولتظل صلوات المؤمنين تستمطر على ضريحه شآبيب الرحمة والغفران . وضريحهُ في صحن الكنيسة بالقرب من حائطها الشمالي تحت قبَّة الجرس . وكانت وفاته سنة ١٧٧٦

وقد قرأت في سجل انطوش الرهبنة البلدية في جبيل صورة الحجَّة التي بها يهب الامير يوسف هذه الكنيسة الى الرهبنة وهذا نصُّها بالحرف :

## الداعي لتحريره

هو اننا سلَّمنا الكنيسة الكبيرة التي في مدينة جبيل الى أعزازنا الرهبان اللبنانيين عن يد حضرة عزيزنا القس عمانوئيل رئيسهم العام بن ... المعروف جا فيتيها . ومرفوعة عنها الحساير من الاقلام الاميريَّة وغيرها وصرَّفناهم جا تصرُّف الشرعي ولا ندع احد يتعارضهم . واعطيناهم قولاً برفع التبعة والشفعة ولهم علينا الحماية والصيانة وهم اشترطوا بان يعمِّروها ويقفوها بجميع لوازمها كما يجب ويوقفوا لها قسوساً يكونوا لائقين وكاملين ليخدموها بكل ما يرضي . واذا لم يوجد منهم احد يرضى فيطلبوا كاهناً علمانيّ يخدمها تحت يدهم . فبد استقامتهم على شرطهم والقيام بموجبه لا نرفع يدهم عنها ولا نبدي احداً عليهم بل هم يتصرَّفوا بها كيفما شاءوا وحرَّرنا لهم هذا السند لاجل البيان تحريراً في آذار سنة ١١٨٠ ه (١٧٦٥م)

وبعد ان تسلَّم الاب العام هذا الرسوم تأخر في تصليح الكنيسة فبعث اليه الامير مرسوماً يحثُّهُ فيه على المبادرة الى تصليحها ويَعِده انه لا يسلِّمها لغير الرهبنة

اللبنانية . فبادر الاب عمانوئيل الرئيس العام المشار اليه الى تصليحها وساعده في ذلك ابن عمه الشيخ سعد الخوري وكان ذلك في ايام حبريَّة البابا بيوس السادس ورئاسة السيد البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي

ويُقرأ بالكرشوني منقوشاً على بلاطة فوق عتبة الكنيسة ما يلي :

قد جدَّد تشييد هذا الهيكل المبارك في ايام الحبر الاعظم البابا بيوس السادس وايام قدس السيد البطريرك مار يوسف اسطفان وهمَّة ومساعدة الشيخ سعد الخوري وبعناية ربَّانية ورهبنة لبنانية وطائفة مارونية تمَّ ١٧٧٦

ومن مآثر الشيخ سعد الخوري انه سنة ١٧٧٥ التمس من قداسة الحبر الاعظم المارّ ذكره ان يمنح غفراناً كاملاً للزائرين الذين يتناولون القربان المقدس بكنيسة جبيل هذه الكبرى وارسل استدعاءهُ صحبة كاهن وراهب من ابناء هذه الرهبنة . فحاز إعراضه القبول واليك ترجمة كتاب السيد كاستلي مقدم المجمع المقدس بهذا الشأن نقلاً عن السجلّ المار ذكره :

ليد حضرة سعد الخوري مباوك في جبل لبنان

ايها السيد المكرَّم

انه بعد ما تقدَّم الى قداسة الحبر الاعظم كل ما اعرضتَ حضرتك في مكتوب بتير غفران فقداستهُ لم يقبل فقط بكل مشاشة الاخبار المشروحة في مكتوبك فيما يخصّ انتشار الايمان الكاثوليكي بل انه قد ارتضى ايضاً بكل رغبة بان يمنح الغفران المطلوب منك لاجل كنيسة جبيل . كما انك ستفهم ذلك من المنشور المحرَّر الواصل طيّه . ومتى نظرت انا الراهبين المذكورين في مكتوبك فيصير لهما التبول بذاك المتن الذي يليق بهما ويصير لهما الانعطاف الى مرغوبهما بالشيء العادل والممكن ثم اني اطلب من الله تعالى ان يمنحك السعادة الحقيقية . أُعطي برومية ٨ نيسان سنة ١٧٧٥ كاستلي مقدم مجمع انتشار الايمان المقدَّس

ولقد اطَّلعتُ ايضاً في السجل المذكور على صورة منشور المجمع المقدس وهو مؤرخ ايضاً في ٨ نيسان سنة ١٧٧٥ فيه يمنح البابا بيوس السادس كنيسة الرهبان الجديدة في جبيل غفراناً كاملاً جملةً وافراداً لسائر المسيحيين التائبين المعترفين المتناولين القربان الاقدس الزائرين بعبادة الكنيسة المذكورة في عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس

وهذه الكنيسة التي انعم على المسيحيين الذين يزورونها في عيد القديسين بطرس وبولس الغفران المذكور كانت اولًا على اسم القديس يوحنا مرقس وبعد ان ارتقى غبطة السيد الياس الحويك السدَّة البطريركية اوعز الى الرهبان ان يجعلوها تحت حماية القديس يوحنا المعمدان. ولعلَّ السبب في ذلك شهرة هذا القديس في الشرق وتكرار ذكره في رتب الموارنة الطقسية وهي خالية من ذكر القديس يوحنا مرقس الذي كان احد تلاميذ السيد المسيح السبعين وله ذكر في اعمال الرسل (١٢: ١٢)

وللموارنة عدا هذه الكنيسة كنائس عديدة اخرى صغيرة ومعظمها بيد الرهبان البلديين . اهمُّها واشهرها سيدة البوَّابة الشهيرة بعجائبها وبتقاطر المؤمنين من كافَّة الأنحاء الى زيارتها وطلب شفاعتها وتقديم نذورهم الى مقامها. وسُمِّيت بسيدة البوَّابة لانها قائمة فوق سور المدينة حذاء البوابة. ثمَّ سيِّدة مرتين وهي مشيَّدة فوق رابية عالية تشرف على البحر بالقرب من الطريق العمومية بين بيروت وطرابلس في مدخل المدينة الجنوبي وهي عجائبيَّة ايضاً. وكثيرًا ما يقف المسافرون ولاسيما سائقي السيَّارات لتحيَّتها ولتقديم نذورهم لها جاعلين سفرهم تحت حمايتها. وقد استجلب مؤخرًا الخواجا يوسف باسيل احد الجبيليين الاتقياء من فرنسا تمثال العذراء مريم من الشبَه ونصبهُ فوق الكنيسة للجهة الشرقية المطلة على الطريق فكان ذلك باعثاً الى تحريك الشعائر التقوية في النفوس

وجميع كنائس جبيل السيدة قَصُوبة وسيدة البزاز وسيدة الميسة ومار جرجس ومار نوهرا ومار يعقوب ومار بولس ومار تقلا كلُّها ذات هندسة واحدة لا يُعرَف زمن انشائها. ويغلب على الظنّ انها كانت قديماً مساجد لعبَدة الاصنام فتحوَّلت الى عبادة الاله الحقيقي. وقد خُصَّ معظمها لتكريم السيدة العذراء البتول اشارةً الى ان جبيل التي كانت قبل ان تشرق شموس الدين المسيحي مرتعاً للحماقات والجهالة ومحلًّا لتقديس الدعارة في تقديم العبادة لعشتروت إلهة العشق والحب الحيواني الفاسد قد اصبحت بعد ان سطعت الديانة المسيحية بانوارها المشرقة في هذه الانحاء مقامات لتقديس العفاف والطهارة بشخص تلك التي اوجدها الله بريئة من الدنس حتى دنس الخطيئة الاصلية وشرَّفها بان تكون امًّا للكلمة المتأنس سيدنا والهنا يسوع المسيح. فالطوبى كل الطوبى لاهالي جبيل الحاليين الذين لم يُكثروا فقط من تكريس المعابد

لعبادة الله ولتكريم والدته العذراء القديسة بل لأنهم يعيشون وروحُ العفاف يسود بينهم وهم ناشرون فوق مدينتهم ألوية الفضيلة والمحبة المسيحية الطاهرة. ولي دليل على ذلك تعدُّد الاخويات التي انشأوها كاخوية الحبل بلا دنس واخوية قلب يسوع للرجال واخوية المنية الصالحة للنساء واخوية العذراء للبنات. والذي يملأ القلب تعزية عدد الرجال المنتمين الى الاخويَّتين المتضوين تحت لوائيهما. ولا يسعني في هذه المناسبة الَّا الثناء على مرسلي الرهبنة اليسوعية الذين أسَّسوا هذه الاخويات وعُنوا في تدبيرها ولم يزالوا يواصلون السعي حتى يبلغوا بها على مستوى من النجاح والفلاح

والجبيليون يقيمون في بحر السنة اكثر من احتفالٍ خارج الكنيسة فيخرجون براياتِ اخوياتهم بطواف كبير في انحاء البلدة في عيد الجسد الالهي وفي عيد قلب يسوع وفي عيد سيدة الدروع ويوم تذكار الموتى ويوم احد الموتى في المرفع. فيسيرون بكل إخبات وخشوع في الشوارع. بعضهم يتلو الصلوات بصوت عالٍ خشوعي والبعض الآخر ينشد الاناشيد الروحية. وكثيرًا ما يشترك في هذه الاحتفالات سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي الذي هو من بلاد جبيل وقدس الرئيس العام على الرهبنة البلدية ورهبان دير سيدة المعونات فيزيدونها رونقاً وبهاء. وقصارى القول ان الاحتفالات الدينية التي تُقام في جبيل يندر حصول مثلها في سائر الامكنة بفضل المساعدة التي يقوم بها رهبان ذلك الدير العامر.

## مدارس جبيل

وفي جبيل مدرسة للاخوة الماريست كانت قبل الحرب داخلية يتلقى فيها احداث هذه المدينة وبعض القرى المجاورة العلوم الافرنسية والعربية الى ان يحصلوا على الشهادة البدائية. فمن اراد منهم مزيدًا في التحصيل لنوال الشهادة العالية امكنه ذلك بدخول مدرسة هؤلاء الاخوة في جونية. ولراهبات قلبَيْ يسوع ومريم الاقدسين مدرسة للبنات بالقرب من كنيسة مار يوحنا تعلِّم اللغتين الافرنسية والعربية. وقد احرزت سمعةً حسنة بما تُلقيه في قلوب الطالبات من المبادي الصحيحة وما تزرعه في نفوسهنَّ من بذور الفضيلة والتقوى وما تغذي به عقولهنَّ من العلم والادب. وفي شمالي المدينة قد انشأت راهبات العائلة المقدسة الارونيات التي انَّها غبطة السيد

الكبير البطريرك الياس الحويك أيده الله مدرسة اخرى هي مع مدرسة راهبات القلبين الاقدسين فرسا رهبان في حلبة الفوائد التهذيبية وميدان المنافع الادبية والعلمية

وكان للاباء اليسوعيين مدرسة مجانية للذكور . لمعوا ادارتها الاخوة المربيين المار ذكرهم وتقدم لها المفوضية العليا بعض المساعدة

وللمسلمين ايضاً مدرستان للذكور وللاناث تقوم الاوقاف الاسلامية في جبيل بحاجياتها وتنال ايضاً بعض المساعدة من دار الانتداب

## الامور الادارية في جبيل

كانت جبيل قد أمّات في بدء تشكيل المتصرفية ان تعيد قسماً من مكانتها الماضية أما جُعلت مركز قائمقامية شمالي لبنان التي كانت تشمل بلادي كسروان والبترون وهما تكادان ان تبلغا نصف متصرفية لبنان الصغير . ولا يزال الشيوخ من اهالي هذه المدينة يذكرون دخول داود باشا اول متصرفي لبنان الى جبيل يوم أتاها يواكبهُ الامير مجيد شهاب حفيد الامير بشير الكبير الذي عيّنه اولَ قائمقام على هذا القضاء وتحيط به الجنود اللبنانية الجديدة وعلى رأسها المرحومان البطلان والدي ابو سمرا غانم ويوسف الشنتيري . ولكن لم يكد يفرح الجبيليون بهذه الترقيات التي أملوا ان يكون لهم منها كبير فائدة وجزيل نفع بجعلها نقطة اتصال بين كسروان والبترون حتى عبّست لها الاقدار ولم تمض سنة على تعيين الامير مجيد قائمقاماً على بلادي البترون وكسروان حتى صدر الامر في السنة التالية ١٨٦٢ بشطر البلاد الى جزئين وتقسيمها الى قائمقاميتين كسروانية وبترونية فجعل مركز الكسروانية غزير والبترونية البترون وألحقت جبيل وبلاد جبيل بكسروان . واصبحت مركز مدير ناحية جبيل السفلى . وقد بقيت الى اواسط مدة ولاية نعوم باشا مركزاً للطابور الثاني للجندية اللبنانية وكان بكباشي هذا الطابور يقيم مع جنده في القامة والقشلاق المجاور لها الذي كان بناه داود باشا ولهذا قد رأى الجبيليون بينهم كلًا من البكباشي سليم بك الطرابلسي قبل ان يصير امير الاي والبكباشي ابرهيم بك الرشماني الذي توفي في جبيل والبكباشي ملحم بك ابي شقرا الذي صار ايضاً امير الاي . وفي ايام

مظفر باشا نقل الطابور من جبيل ولم يبقَ فيها سوى فرقة صغيرة تحت امرة يوزباشي او ملازم اوّل وبعد الاحتلال جُعلت هذه المدينة مركزاً لطاقم على رأسه ملازم ثانٍ. فكانت هذه التبديلات تؤلم قلوب الجبيليين. ولطالما سعوا لفصل بلادهم عن كسروان وانشاء قائمقامية مستقلّة فيها ذات محكمة بدائية. وقد أملهم بعض الذين يشتغلون بالسياسة بتحقيق امانيهم ان هم انشأوا داراً للحكومة فشيّدوا من مالهم من نحو عشرين سنة ونيّف السراي الحالية وما برحوا الى سنة الحرب يعلّلون النفوس بالفوز بما أمّلوا فجاءت الحرب واعوامها وقضت على احلامهم الذهبيّة

## جبيل في زمن الحرب وبعده

وعلى ذكر الحرب اقول ان جبيل وبلادها قد نُكبت اكبر نكبة وقد حلّ فيها الجوع وكثرت الامراض والاوبئة فأهلكت اكثر من ثلث السكان الذين ذهبوا مع من ذهب من هذا الوطن العزيز ضحيّة جور واستبداد وسوء تدبير حكومة غاشمة ظالمة سدّت في وجوه رعاياها ابواب المعيشة لتُميتهم عن قصد او إهمال جوعاً وانتقاماً من إخلاصهم لدولة فرنسا. ان الجبيليين لا يذكرون تلك الايام العصيبة الّا وتتهيج في نفوسهم الاشجان وتسيل من مُقلهم الدموع صيّباً ولوعةً على تلك الضحايا البريئة. ان مئات من الناس الذي اقوا حتفهم في جبيل قد دُفنوا في رمال محلّة عين الياسين وفي كل سنة يذهب الجبيليون وعلى رأسهم كهنتهم من الرهبان وفي مقدمتهم الرئيس العام بموكب مهيب الى رمل عين الياسين ويقيمون صلاة الجناز من اجل راحة انفس الموتى الراقدين في ذلك المكان وجلّهم من الغرباء فيعزّون عن طيب مكارمهم ووافر تقواهم

لقد عاد الجبيليون بعد الاحتلال الى مساعيهم في انهاض مدينتهم من تقهقرها. فسعوا بان تكون لمدينتهم محكمة مستقلّة وما زالوا يلحّون حتى صدر امر المفوّضان ترابو حاكم لبنان الاسبق بجعل مركز حاكم صلح كسروان الاساسي في جبيل. فانتقلت المحكمة من جونية اليها في اواخر شهر اذار سنة ١٩٢١ حيث لم تزل باقية فيها حتى الان. فسُرّ الاهلون بذلك اعظم سرور وأمّلوا ان يكون وجود المحكمة باكورة خير. ولم يكتفوا بذلك بل سعوا ان يكون لمحكمتهم صلاحية واسعة

فكان لهم ما تمنوا وقد صدر الامر منذ نيف وسنة بان يأخذ حاكم صلح كسروان لقب حاكم صلح جبيل وان يتمتع بصلاحية المحاكم الصلحية الواسعة . وهي التي تخوله ان يحكم بالقباحات والجُنح التي لا يتجاوز فيها جزاء الحبس ثلاثة اشهر وان يسمع الدعاوى المالية التي لا يتجاوز مقدارها ثلاثمائة ليرة سورية وان يصدق على صكوك القراغ والانتقال وان يُنفذ الاحكام التي يُصدرها

ولما رأى الجبيليون ان من اهم دواعي العمران هو انشاء الطرق تسهيلاً للمواصلات بين بلدة واخرى سعوا متكاتفين مع سكان القاطعة وخصوصاً اعمالي قرطبا على طلب انشاء طريق للعربات من جبيل الى قرطبا ومن هذه الى العاقورة فبركة اليخونة فبعلبك . وكان حضرة اسعد بك لخود قد سعى في ايام الحرب وهو عضو مجلس الادارة الكبير عن قضاء كسروان في انشاء هذه الطريق واقناع الحكومة بفوائدها العسكرية فقرَّرتها متصرفية علي منيف بك ويوشر العمل على نفقة الحكومة تحت إشراف ومراقبة اسعد بك المشار اليه . وقد انشئ منها نحو خمس كيلومترات ثم انكفُّوا عن العمل بعد سفر المتصرف المذكور الى الاستانة

وبعد الاحتلال شمَّر الجبيليون والقرطباويون عن ساعد الهمة وكان في مقدمتهم الدكتور جبرائيل الطويلي رئيس بلدية جبيل الحالي والخوري فرنسيس السخن القرطباوي فنجحوا . وكان من اكبر المساعدين على تحقيق هذه الامنية حضرة السيد احمد الحسيني عضو مجلس النواب اللبناني في الدورة السابقة . وقد بُدئ في العمل بكل حماس من جبيل ومن قرطبا معاً . والمأمول ان تتمَّ هذه الطريق من جبيل الى قرطبا في اواخر سنة ١٩٢٧ . وان بُذلت المساعي لتمديدها الى بعلبك كانت اقرب طريق من بيروت وطرابلس الى تلك المدينة ولا يخفى ما ينجم عنها من الفوائد للبلاد التي تمرُّ فيها ولاسيما لمدينتي جبيل وبعلبك

وبلاد جبيل فقيرة بالطرق جدًّا ولا اعلم ان في لبنان ناحية أُهملت فيها الطرقات كبلاد جبيل . فانك لا تجد طريقاً للعربات سوى الفرع الذي يمتدّ من جبيل الى عشيت فقرية حبالين . وقد سعى اهالي جرد جبيل وفي مقدمتهم رئيس دير ميفوق الى مدّ الطريق من حبالين الى ميفوق فتمَّ لهم الامر وقد صدَّق مجلس النواب مؤخرًا على هذا المشروع ويرجون بدء العمل في اوائل الشتاء القادم وستفيد من هذه الطريق

القرى الآتية : حبالين . شامات . عبيدات . ميفوق . لحفد . جاج . ترتيج . دوما

ودوما هذه تتصل بها طريق العربات بطرابلس من جهة الكورة . وهي بلدة عامرة فيها من الاسواق الحسنة والمتاجر الواسعة ما يبرهن على رقيها وهي تابعة قضاء البترون . فان تمَّ رَبطها بجبيل تقرَّب المسافة بينها وبين بيروت وتزيد معها حالة جبيل تحسُّناً . ولا يخفى ان بلاد جبيل هي ككل انحاء جبل لبنان غنية بالاماكن الصالحة لتكون محطاً لرحال المصطافين فمتى توفرت فيها الطرق وسهلت اسباب النقل لا تلبث ان تباري المتن والشوف وسائر الجهات في مصايفها الفتَّانة . وهي ترجَّح عليها بسبب غناها بآثارها القديمة التي يتوق المولعون بتواريخها الى مشاهدتها عن كثب كالمشقة وأنفقا واليشونة وغيرها . واما عن مناظرها الفتَّانة وعذوبة مياهها وجودة مناخها فحدِّث ولا حرج وسبِّح ربَّك مبدع الكائنات . وحسبُ بلاد جبيل فخراً ان فيها نبع نهر ابرهيم في افقا الملقَّب قديماً بنهر ادونيس عشيق عشتاروت وان فيها اللقلوق المصيف الشهير الذي يتمنَّى منتجعو العافية ان يقضوا فيه بضعة ايام ليكسبوا الصحة التي ينشدون وفضلاً عما زانهُ الخالق من المحاسن الطبيعية التي تأخذ بمجامع القلوب وتسبي النواظر فانه تنبجس من جنباته أعذب المياه واكثرها هضماً وأسوغها طعماً . واللقلوق هو مصيف اهالي العاقورة وتنُّورين اولئك العمالقة الصناديد المشهورين بقوة ابدانهم وفتل سواعدهم وشدة بأسهم

## بعض قرى بلاد جبيل

﴿عشيت﴾ بلدة عامرة تبعد عن جبيل الى الشمال ثلاثة ارباع ساعة تعلو عن سطح البحر مائة متر مشهورة بوجاهة عيالها ووافر ثروتهم . وقلَّما تخلو قرية من قرى بلاد جبيل إلَّا والعشيتيين فيها أملاك . فكما ان آل جنبلاط هم اكبر المُلاك في الشوف وجزّين هكذا هي حال العشيتيين في بلاد جبيل . وفي هذه القرية عيالٌ ثلاث شهيرة بغناها ووجاهتها وهي : عائلات كلاب التي خرج منها مخايل بك طويا وشقيقهُ جبّور بك وزخيا شلهوب وطنوس بطرس وسليم بك وهبه . وعائلة كرم ومنها فارس بك الخوري كرم الذي خدم الوطن بصفة عضو مجلس ادارة لبنان الكبير سنين عديدة وفارس شاهين كرم الاول واقف كنيسة مار الياس وفارس شاهين كرم الثاني

وبطرس شاهين كرم واقف مدرسة الوردية المقدسة للبنات. وعائلة عبيد ومنها آل لحود واعظمهم غنى وثروة فارس لحود وشقيقه يزبك لحود المشهور بصداقته للامير بشير احمد. وقد خلف فارس اولادهم جبرائيل وروفائيل ومخائيل والد اسعد بك لحود الذي تولى عضوية مجلس ادارة لبنان مرتين ونال الرتبة الاولى العثمانية

ومن مآثر آل طوبيا انّ مخايل بك طوبيا قد اوصى بانشاء مستشفى في عشيت ومات قبل ان ينفذ مشروعهُ فأتمّهُ من بعده اخوه جبُّور واوجد هذا المستشفى سنة ١٨٥٧ وجعل الولاية عليه لأقاربه فتولّاه على التعاقُب زخيا شلهوب ثم طوبيا زخيا والان نخله افندي يوسف زخيا وزخيا افندي طوبيا . وهو قائم على ربوة عالية جيدة المناخ تُديرهُ راهبات ماري يوسف اللواتي يعتنين بمن يؤمُّهُ من المرضى من اي دين كانوا ويقدّمنَ لهم المعالجة مجاناً على حساب الواقفين. وهي مأثرة يسطّرها التاريخ لمخائيل وجبور طوبيا بداد الفخر . واظنُّ ان هذا المستشفى هو اقدم مستشفى انشأه شرقيٌّ في هذه البلاد

ومن الذين اشتهروا في عشيت بعمل البرّ نذكر فارس جبور كرم الذي وقف املاكه على فقراء الكرسي البطريركي الماروني واشترط ان يكون بيتهُ مقرّاً لاسقف وتُعرَف داره الان بالنيابة البطريركية . واني لاذكر بين المحسنين وعاملي الخير الاخوين الفاضلين الخوري بطرس كرم وروكس كرم وهما مشهوران بتقواهما وببذلهما الحسنات الخفيّة للعيال المستورة ومساعدتها البنات الراغبات في الحياة الرهبانية باموالهما ليدفعن البائنة المطلوبة منهن

وقد شيّدت العائلات الثلاث المار ذكرها وهي عبيد وكرم وكلاب كنيسة السيدة . وحسبُ عشيت فخراً انها أنبتت البطريرك ارميا العشيتي القديس الذي يُروى عنهُ انهُ اجترح العجائب اذ كان في رومية يزور الاعتاب الرسولية . ومن عائلة كرم المدعو اسبيريدون الذي نزح في اوائل الجيل الماضي الى اللاذقية وهو جدُّ يوسف بك الحكيم ناظر عدلية سوريّة الحالي المشهور . ومن هذه العائلة عفيفة كرم الكاتبة الادبية التي توفيت في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٩

ومما هو جدير بالذكر ان اونست رينان العالم الفرنساوي المشهور لمّا اتى بعد سنة الستين موفداً من حكومته للتنقيب عن الآثار القديمة قد حلّ على الرحب والسعة في

دار زخيا شلهوب واقام فيها مدة وهنالك توفيت شقيقته هنريت ودُفنت في مدفن عائلة زخيا المشار اليه . وفي السنة الماضية حضرنا في عمشيت الاحتفال الذي اقامه بعض محبي العلوم الاثرية من الافرنسيين بحضور الجنرال سراي واركان حكومة الانتداب والحكومة اللبنانية فنصبوا فوق الضريح تاريخاً لوفاتها

وفي عمشيت مدرسة للاخوة المريميين وهي اقدم مدارس هذه الجمعية في لبنان وسوريا ولذلك يسمونها «البيت الام» يقيم فيها على الغالب الاخوة الذين اثقلت كواهلهم السنون او انهكتهم الامراض فيدلفون الى هذا البيت الصحي انتجاعاً للعافية فيستعيدون ما فقدوه من قواهم ويستأنفون العمل الباهر في خدمة الدين والعلم والاداب . وفي عمشيت مدرسة تعرف بالوطنية يديرها الاديب الناهض اديب افندي لحود وقد سمعت الكثيرين يثنون على منهجها وحسن خطتها . وفيها ايضاً مدرسة للبنات بادارة راهبات العائلة المقدسة المارونيات

﴿اده﴾ بلدة صغيرة جيدة التربة تبعد عن جبيل شرقاً بشمال مسير ساعة . وقد اشتهرت بانها منبت عائلة اده البيروتية التي اتحفت الوطن برجال عظام يفاخر بهم وقد احرزوا في عالم الدين والدنيا مكانة عالية . اذكر منهم المرحوم ميشال بك اده ترجمان ولاية بيروت وولده كميل الذي خلفه قبل الحرب بهذه المأمورية وهو حالياً رئيس كتّاب مجلس شورى الدولة والاستاذ اميل اده رئيس المجلس النيابي السابق الذي كادَ ان يكون رئيس الحكومة اللبنانية لو لم يفضّ الجنرال سراي المجلس . واخاه الاب خليل اده اليسوعي والاب جبرائيل اده الذي ترأس على كلية القديس يوسف سبع سنين والمحامي كميل افندي اده رئيس جمعية قدماء تلامذة المدارس العليا وغيرهم كثيرين . ومن اده ايضاً خرجت عائلة ملّاط في بعبدا التي نبغ فيها الدكاترة يعقوب وفارس وصعب والقانوني يوسف الملّاط والشاعران الاخوان تامر وشبلي الملاط . وفي اده كنائس صغيرة قديمة معظمها كان قديماً معابد للاصنام

﴿بلاط﴾ قرية شرقي جبيل تبعد عنها نصف ساعة ويُقيم فيها فرع من عائلة المشايخ الدحادحة . نذكر منهم الخوري اسقفي المنسيور يوسف الدحداح رئيس الرسالة المارونية في اوستراليا . وفي هذه القرية كنيسة كانت ايضاً قديماً معبداً للاصنام ولما زارها رينان عثر على حجر عليه كتابات قديمة انتزعه من فوق باب الكنيسة وارسله الى

متحف العاديات في باريز

﴿إهمج﴾ قرية عامرة في وسط بلاد جبيل . اشتهرت فيها عائلة المشايخ آل خوري الذين منهم رشيد بك الخوري وولده نجيب بك الذي خدم الحكومة اللبنانية بصفة سرّ طبيب المتصرفية في ايام يوسف باشا فرنكو واوخانس باشا قيوجيان . واسكندر بك الخوري مدير جبيل السفلى وجبيل العليا سابقاً

﴿مشمش﴾ من اجمل قرى هذه الناحية تعلو عن سطح البحر نحو ثمانمئة متر وتبعد عن اهمج شمالاً نحو ساعة . هي غنية بمشاعاتها . واهم العيال فيها عائلة الخوري وهي الآن فروع اذكر منها فرع نون ومنه الخوري يوسف نون الذي انشأ فيها مدرسة داخلية سنة ١٨٨٤ ووقفها على عائلته . وقد ازدهرت هذه المدرسة مدة قبل الحرب وبعد الاحتلال ولكنها الان مقفلة الابواب بسبب خلاف بين افراد العائلة الطالبين بالسيطرة عليها . وقد انشأ الخوري يوحنا نعمه احد تلامذة مدرسة الاباء اليسوعيين الاكليريكية في بيروت مدرسة اخرى في جوار الكنيسة القائمة على رابية عالية شمالي القرية . وقد زرت هذا الكاهن مؤخراً فرأيته مع كاهن الرعية المنير الخوري يوسف دوبان ملتهبين غيرة على خير النفوس فتمنّيت ان يُرى لهما امثال كثيرون من كافة القرى . ومن هذه القرية خرج الياس شحاده الشهير واولاده وكانوا في عصرهم من اكبر وجوه بلاد جبيل . وقد اشتهر رهبان مشمش بتقدّمهم وغيرتهم ومآثرهم اخصّ بالذكر الاب انطونيوس الشمشاني الذي توفي سنة ١٩٠١ رئيساً عاماً على الرهبنية البلدية

﴿لحفد﴾ وهي شمالي مشمش تبعد عنها نحو ساعة ونصف مشهورة بجودة مناخها وعذوبة مائها . وهي مصيف بعض الاغنياء من اهالي عمشيت الذين لهم فيها املاك واسعة . ومن هذه القرية خرجت عائلتنا غانم التي لها فروع عديدة في الشوح وكسروان وبيروت وبكاسين وبسكنتا وبعلبك وغيرها . ومن لحفد موسى افندي باخوس غانم مدير جزين الحالي . ولهذه العائلة وقوفات تُعرَف برقف مار الياس لحفد . ومن العيال المعروفة في لحفد بيت ضو ومطر

﴿يسقي لحفد﴾ قرية غنيّة بمياهها اشتهرت بكرمها مسقط راس الشيخ راغب الخازن وكان في زمانه من اصحاب الجاه والثروة في الاملاك

﴿جاج﴾ بلدة قريبة من لحفد تبعد عنها شرقاً نحو ساعة مشهورة بكونها مسقط رأس الشماس سركيس جدّ العائلة الخازنية التي شرّفت الطائفة والوطن باعمالها الباهرة ومآثرها الفريدة ديناً ودنيا. وفيها من العيال المعتبرة بيت الخوري يعقوب وبيت بركات وبيت الفنيسي . اشتهر منهم المرحوم القس يواصاف العُنيسي

﴿ترتج﴾ بلدة عالية مشهورة بطيب هوائها وكثرة ماشيتها. فيها المراعي الخصيبة للماعز. وجبن ترتج من اوفر الاجبان لذةً واجودها طعماً

﴿العاقورة﴾ منبت الاسود وعرين السباع وبحق يمكننا ان نقول ان العاقورة معقل الصناديد الذين كانوا فيما مضى يذودون عن حياض النصرانيّة ضد غارات الاعداء. وهي بلدة عماد العاقوري المشهور بضرب السيف حتى صار يُضرب به المثل. ومن احفاده رجال أشداء اقوياء يهابهم الخصوم ويجتنب إهاجةَ سخطهم الاعداء. وعماد فرعٌ من المشايخ آل الهاشم وعددهم يربو على المائة ومن هذه العائلة الشيخ عباس الهاشم مدير العاقورة سابقاً وولده الشيخ سليم مدير قرطبا حالياً. وقد اشتهرت في العاقورة هذه العيال: بيت حرب وجرمانوس ومنهم الشيخ جبرايل جرمانوس المئري الكبير والشيخ يوسف جرمانوس مستنطق محكمة صور. وبيت ياغي وبيت مرعب. ومن هؤلاء الخوري بولس مرعب الذي كان مدةً كاتب اسرار المرحوم المطران يوسف الدبس. وجميع هذه العيال موصوفة بالشجاعة والبأس ولها في تاريخ الفروسية صفحاتٌ خالدات. الّا انهُ كان يقع بينها حوادث مكدّرة يؤسف لها ترجو ان لا تتكرّر فيما بعد لاجل سمعة العاقورة الطيبة

﴿قرطبا﴾ هي اكبر قرى بلاد جبيل ذات متاجر حسنة . فيها معامل الحرير العديدة واهاليها موصوفون بدماثة اخلاقهم ولين عريكتهم وانصرافهم الى العمل والمكسب. وبعد ان كانت قرطبا توصف قديماً بالفقر اصبحت قدوةً للغير في الكدّ والجدّ لاحراز المال فأثرى ابناؤها وصار يُضرب بهم المثل في الغنى. وفي قرطبا دير مار سركيس للرهبان البلديين وهو دير عامر من اكبر اديار الرهبنة. وفيه توفي القس دانيال الحدثي احد الاربعة الذين تسعى الرهبنة لتثبيت قداستهم. وقد زرت هذا الدير من نحو خمس وثلاثين سنة برفقة الاب جوليان اليسوعي وكانت جثة هذا الرجل البار لم تزل في المقبرة محفوظة بدون فساد وقد شاهدتها بأمّ العين . وقد علمتُ بعد ذلك

ان الرهبان نقلوها من المقبرة الى الكنيسة ووضعوها في تابوت خاص

﴿عَلمات﴾ وبالغرب من قرطبا قرية علمات وهي اكبر قرية للشيعة في بلاد جبيل . وكانت تابعة قبلاً لمديرية المنيطرة التي كان مديرها شيعياً ولما ألغيت المديريات التي كانت في هذه القاطعة واستُعيض عنها بمديريتي جبيل وقرطبا ألغيت ايضاً مديرية المنيطرة وضُمّت علمات الى مديرية قرطبا . واراضي علمات جيدة وغنية بالحاصلات والفضل يعود الى نشاط الاهالي وانكبابهم على العمل واهتمامهم بالزراعة والفلاحة

وعدا عن القرى التي ذُكرت يوجد في بلاد جبيل قرى اخرى صغيرة اذكر منها . بير الهيت ومشان ومنها عائلة سعيد المعتبرة . وبنتاعل ومنها القس اسطفان بنتاعل تلميذ كلية الآباء اليسوعيين الذي اشتهر بالوعظ وتولى مديرية الرهبنة اللبنانية عدة سنوات . ومشحلان ومنها المنسينيور يوحنا كيرالس الذي قضى سنين طويلة في الشام نائباً بطريركياً مارونياً . والكفر ومنها الاب نعمة الله الكفري الذي تولى رئاسة الرهبنة اللبنانية وكان مشهوراً بعلمه وقداسته . وشامات ومنها سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي . وبيت حباق ومنها المأثري المعروف غالب افندي فرجان . وحبالين ومنها الوجيه فارس افندي حنا . ومعاد ومنها الاب اسطفان دوميط تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير الذي دخل رهبنة الدومينيكان والخوري يوسف دوميط الذي ادى الى الشبيبة المارونية خدماً كثيرة بتوسطه لعدد غير يسير من طلاب وطالبات العلم ان يرتشفن افاويقه في مدارس فرنسا وبلجيكا العالية

﴿ميفوق﴾ وقد اشتهرت بديرها العامر الذي تحوّل منذ سنين الى مدرسة داخلية فيتفانى الرهبان في تهذيب الناشئة على اسس الدين والفضيلة وحب الوطن وتغذيتهم بالعلوم العربية والافرنسية حسب الاساليب الحديثة

﴿وعنّايا﴾ وفيها دير القديس مارون الذي اشتهر بنساكه التي أوى اليها الرهبان الحبساء ومارسوا فيها اسمى الفضائل الانجيلية . وحسبنا ان نذكر منهم الاب شربل بقاع كفرا الذي تشكّلت المحكمة الروحية في جبيل لفحص اعماله وعجائبه ليصير تثبيته قديساً من الكنيسة المقدسة . وقد نشر المشرق في احد اجزائه ترجمة حياته

﴿فغال﴾ وهي قرية كثيرة الخصب وافرة الخيرات ذات تربة جيدة . واهم حاصلاتها مع التوت والزيتون اللوز ولا يوجد قرية في لبنان تعطي من هذا الثمر ما

تعطيه فقال وقد اشتهر منها الخوري بطرس ابي صعب

﴿وبجه﴾ وهي من اكبر القرى واغناها خرج منها كهنة افاضل وادباء نجبـاء. نذكر منهم الخوري بولس الاشقر والخوري الياس الحايك. وبجه ومعاد قد تفرع عنهما قرى عديدة وعيال كثيرة. واغلب سكان القرى المجاورة سواء كانوا في بلاد جبيل او في بلاد البترون فينتسبون الى بجه ومعاد فان لم يكن معادياً فهو بجانياً. والناس تقول: بجه ومعاد ثلثان البلاد

﴿وعين كفاع﴾ وهي مشهورة بجودة زيتها وقد اشتهر منهـا الخوري يوسف الحداد الشاعر المطبوع والاستاذ المعروف

﴿وغلبون﴾ وهي قائمة بين معاد وبجه وعين كفاع. فيها نوع من العنب يحفظونه الى شهر شباط ومنها الاستاذ يوسف الغلبوني

وفي بلاد جبيل ناحية تُعرف ﴿بالقرنة او قرنة الروم﴾ لان معظم سكانها ان لم نقل جميعهم من طائفة الروم الارثوذكس وهي واقعة بين جبيل والبترون. اهم قراها: المنصف ثم غرزوز فشيخان فالبرباره فالحارة فجدايل ونصف اهالي هذه تقريباً من الموارنة ولهم فيها كنيسة. وقد اشتهر اهـالي القرنة بميلهم الى العلم واشتغالهم بالتجارة لاسيما تجارة الدخان. اذكر منهم الخواجات جرجي عازار ونسيب عازار وشكرالله عبدالله. ومن العيال المعروفة ايضاً عائلة الرصباني ولها فروع في الشوير منهـا فارس افندي مشرق ونجيب افندي مشرق. ولاهالي القرنة عدة معامل للدخان في جبيل. ولشكرالله عبدالله معمل لورق لف الدخان في الشياح. ومن اكبر الاسباب لاشتغال اهـالي القرنة بالدخان هو لأن اراضيهم صالحة كثيراً لزراعته واذا كان الدخان الجبيلي قد نال شهرة عند المدخنين فالفضل عائد في اول درجـة الى دخـان القرنة الشهير بجودته والى تجار القرنة الخبيرين بتوضيبه. وعلى ذكر الدخان ومعامل الدخان لا يسعني ان امرّ بدون ان آتي على ذكر معمل الدخان الذي انشأه الخواجا نسيب الخرّاط من اهالي شامات في جبيل وهو من اكبر معامل الدخان في لبنان وتُصرف سكايره في كافة انحاء الجمهورية اللبنانيّة

هذا ما رأيت إتحاف قرّاء المشرق به ليلمّوا باخبار جبيل وبلاد جبيل هذه البقعة التي هي في وسط البلاد والتي يرجو سكانها عطف الحكومة عليها لتأخذ بيدهـا

لتسير في سبيل النجاح الذي سلكته من قبل سائر الانحاء اللبنانية كالمتن والشوف وغيرها. واهمّ ما يترجّاهُ الجبيليون بعد فتح الطرق في بلادهم هو ان يقرّب الله الساعة التي يتمّ فيها مشروع الكهربا. في نهر ابرهيم وجرّ مياهه الى اراضيهم مع انشاء سكّة حديديّة بين طرابلس وبيروت تمرّ بمدينتهم فان تمّ لهم ذلك تحقّقت احلامهم بان يروا جبيل تستعيد تدريجاً شيئاً مما فقدته من سابق عزّها وحضارتها وعمرانها ان شاء الله وبهمّة مديرها الحالي حضرة الشيخ بان صليبي الخازن

وقبل ان افرغ من هذا المقال عن هذه البلاد العزيزة جعلتُ مسك الختام الكلام عن دير سيدة المعونات ويعرف ايضاً بدير البنات. ويتناقل الجبيليون بالتقليد ان سبب هذه التسمية كان لأنّ ملوك جبيل قد اتخذوه مصيفاً لبناتهم بالنظر لحسن موقعه وجودة مناخه. وهو قائم على رابية عالية تشرف على جبيل وبحرها وبيروت وساحلها ويبعد عن البحر نحو نصف ساعة. وقد اتخذه قدس الاب اغناطيوس التنوري الرئيس العام الحالي على الرهبنة مركزاً له بدلاً من دير طاميش لوقوعه في نقطة متوسطة في البلاد ولسهولة الوصول اليه لانه لا يبعد اكثر من عشر دقائق عن طريق العربات. وقد باشر الرهبان بانشاء شعبة توصله بالطريق العام. وقد زاد هذا الرئيس الجليل النير في بنايات الدير وجعلهُ مدرسة يتلقّى فيها الرهبان المرشحون الى درجة الكهنوت المقدسة العلوم العربية والافرنسية مع اللاهوت ويتمرّنون على عمل الرسالة والارشاد

وقد زرتُ هذا الدير العامر اكثر من مرّة وكنت اعود كل مرة مُعجباً بصفات الرئيس العام ومثنياً على الروح الرهبانية التي يتجلى بها رهبانه بكل مظاهرها الحيّة. والذي اثلج صدري وطربتُ له غاية الطرب هو ما وجدته في هذا الصرح العلمي من الترتيب والنظام الماثلَيْن لما نشاهده في كلية القديس يوسف التي تلقّى معظم اساتذة دير سيدة المعونات علومهم فيها. فالرهبان هنا يصرفون اوقاتهم بالعمل وليس للبطالة عندهم مقام ولا بدّ ان ترى يوماً هذا الترتيب عاماً جميع اديار الرهبنة. ولا يخفى على احد ما يرجوه الوطن من الفوائد الادبية والدينية والتعليمية والثمار الشهية التي يجنيها من مآتي هؤلاء الابطال الصناديد في حلبة العلم والتهذيب والادب ان شاء الله